شوارتزنيغر الثالث

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

خرجَ بوعزَّةَ الضَّرَاوي من سينما كُوليزي مُنْتَفِخًا مزْهُوًّا بِطُولِه وعَرْضِ كتِفَيْهِ. كان في حَوالِي العِشْرينَ، شديدَ السُّمْرَةِ، يقُصُّ شعرَهُ الأكردَ الكَثَّ على شكْلِ طربوشٍ قصيرٍ، ويرتدي على الجِلْدِ صدْرِيَّةً من قُماشِ الجينِ المزيَّنِ بالنُّحاسِ.

كانَ قد شاهدَ في السينما شريطًا عنيفًا مثيرًا من بطولة الممثِّلِ الألماني «شوارتْزنيغر» فبهرتْهُ حركاتُه وانقضاضاتُه على أعدائِه وإبادَتُه لقُطْعانٍ من الأشرارِ بنصْفِ دورةٍ من رشاشِه الأوتوماتيكي.

خرج بوعزةُ مُتَقمِّصًا شخصيَّةَ بطلِ الشاشةِ، مَسْكونًا بها، بحيثُ لم تَعُدْ له شخصيةٌ تُذْكَرُ! ومشى يختالُ على الرصيفِ، وينظرُ من فوقُ إلى جمهورِ السينما فيبدُو له مجرَّدَ ذُبابٍ يبعثُ على الاشمِئْزازِ.

وضاق بالسيرِ بينهم وكأنَّهُ واحدٌ منهم، فنزل إلى طريقِ السياراتِ، غيرَ مُبالٍ بأبْواقِها. ودخل طريقًا ذا اتجاهٍ واحدٍ، ومشَى متمايلاً يكاد يملؤُهَا وحدَهُ!

وسمعَ بوقَ سيارةٍ وراءَه فلم يَلْتَفِتْ ولم يَفْسَحِ الطريقَ.

ونبَّهَهُ سائقُ السيارةِ مرَّةً ثانيةً فلم يعبَأْ به. واقتربَ السائقُ بالسيارةِ الرياضيةِ الصغيرةِ حتى كاد يلْمَسُ ساقَيْ بوعزةَ من الخَلْفِ، ونفخَ البوقَ، فالتفتَ بوعزةُ نافخًا صدْرَهُ وذراعَيه، ونظر إلى السائقِ القَميءِ صاحبِ النظَّارةِ الطبيةِ، وهو يكاد يختَفي وراءَ عجَلةِ القيادَةِ، وضيَّقَ عينَيه، ووقف في مواجهةِ السيارةِ مُشَبِّكَ الذراعين، وصاح في السائقِ: «مالك!؟»

فابتسمَ له السائقُ النحيلُ الذي كان أصغرَ منه سنًّا، وحيَّاهُ بيده، مُلاطِفًا وطلب منه التنحِّيَ ليمُرَّ. فأشار بوعزةَ بأُصْبُعِهِ إليه ثم إلى صدْرِهِ، وقال: «أنت تأمرُني أنا بالخروجِ من الطريق!؟»

فقال السائق: «لا يا أخي، حاشا لله! مَنْ أنا حتَّى آمُرُك!؟ أنا فقط أرجوك أن تتفضَّل وتتكرَّمَ بفَسْحِ الطريقِ لي للمرورِ، فورائي شُغْلٌ مستعْجَلٌ!»

وكانت آلةُ الدَّمارِ قد تحرَّكَتْ في داخلِ بوعزةَ وانتقَلَ به خيالُهُ إلى عالم «شوارتزنيغر» الأحمرِ العنيفِ، فلم يسمَعْ من كلام السائقِ إلا أن تفسَحَ لي الطريقَ، فانحنَى ورفَعَ السيارةَ

الصغيرةَ من المقدمةِ وتركها تسقُطُ، وهو يسُبُّ ويلْعنُ: «تشْتَرونَ هذه القصاديرَ وتظنُّونَ أنكم مَلَكْتُم الدنيا!»

وفوجِئَ السائقُ بموقفِ الشابِّ العنيفِ، فلم يَدْرِ هل يدوسُ البنزينَ ويزيلُه من طريقِه، أم يستعمِل معهُ الحيلَةَ. ولكنَّ عنفَ بوعزةَ لم يترُكْ له اختياراً. فقد نفخَ هذا صدرَهُ، وأخذَ يرفعُ السيارةَ ويخْبطُها. وكلَّ مرةٍ يرفعُها أَعْلَى من السابقةِ حتى خافَ صاحبُها عليها من الانكسارِ، فأخذ ينفُخُ البوقَ ويصيحُ فيه: «ماذا تفعل!؟»

وعدَّ بوعزةَ صيحةَ السائقِ إهانَةً له، فترك مُقَدِّمَةَ السيارةِ، وقصد السائقَ، وأمْسَكَ بمِقْبَضِ البابِ. وهمَّ السائقُ بإقفالِه من الداخلِ، فوقَعَتْ أُصْبُعُهُ على مفتاحِ زجاجِ النافذةِ بَدَلَ زَرِّ إقفالِ البابِ وفتح بوعزةَ البابَ، وأمسكَ بتلابيبِ السائقِ وسحبَه إلى الخارجِ، ورفعَهُ من صَدْرِهِ في الهواءِ ليتساوَى وجهُهُ مع وجهِه، فتدَلْدَلَتْ ساقاهُ! وأخذَ بوعزةُ ينْبُحُ في وجْهِهِ، ويهدِّدُ بقَضْمِ أَنْفِه: «هَهْ!؟ أَزُولُ من طريقك!؟ أنا أزولُ من طريقك أنت؟!»

وهنا تحوَّلَ السائقُ النحيلُ إلى حبْلٍ من حديدٍ، فَنَطَحَ بوعزةَ في وجْهِهِ نطْحةً قوية، فأطْلَقَ صَرْخةً عاليةً، وتَرَكَ الوَلَدَ وَوَضَعَ يدَهُ على عَيْنَيْهِ وهو يتألَّمُ ويكادُ يتميَّزُ من الغَيْظِ! وحين زالت الغَشاوَة عن بَصَرِهِ، نظر أمَامَهُ فإذا السائقُ الهزيلُ ما يزال واقفًا ينظر إليه باسْتِرخَاءٍ واستِخْفافٍ، ويداه على خصْرِهِ النحيلِ.

ورفع بوعزةُ قبضتَه الضخمةَ وسدَّدَها إلى وجْهِ السائق الضَّئيلِ فأمسكَ هذا بها بُسْرعةٍ فائقةٍ، وسحَبَها بقُوةٍ نحو الأرضِ، ففقدَ بوعزةُ توازُنَه وسقط على وجهِهِ بشكلٍ مُضْحِكٍ.

وكان قد تجمَّعَ عددٌ كبيرٌ من المارَّةِ، أغلبُهم من الشبابِ الخارجِ من السينما، فأخذوا يصفِّقُون لحركاتِ السائقِ المُتْقَنَةِ. واغتنم هو فُرصةَ انكبابِ بوعزةَ على وجهِهِ، وأخذ يرفُسُه بطريقةٍ احترافيةٍ، ويعيدُهُ إلى الانْبطاحِ كلما حاوَلَ النهوضَ، بدونِ مجهودٍ تقريبًا.

وأطلَّ أحدُ الواصلينَ الجُدُدِ من بين المتفرِّجين، وسأل: «هل هو نفس "شوارتْزنيغرْ" الأمْسِ؟»

فجاءهَ الجوابُ: «لا، بل هو شوارتْزْنغر آخر! كل يوم يخرُجُ من السينما واحدٌ جديدٌ!»

ولَوَى السائقُ المنتصِرُ ذراعَ بوعزةَ خلْفَ ظهرِهِ، وانحنَى عليه يسألهُ: «والآن، يا شوارتزْنغْرْ التكْوين السريعِ، هل تزولُ من الطريقِ أو لا تزولُ؟»

ولم يتركْهُ حتى أخذَ يردِّدُ كَسِيراً مهزومًا: «بل أزولُ، يا سيدي، أنا أزول! ولَعَنَ اللهُ شوارتزينغر!»

وركبَ السائقُ سيارَتَه، وانطلَقَ يُحيِّي جماهيرَ المعجبين!